

## ﴿باب المقارن من الامالى الرجبية﴾

(الدرس ٣٦) محمد رسول الله وخاتم النبيين

الكلام في نبوة خاتم النبيين لا يتجلى للمقول كمال التجلي الا بعد بيان  
مستلثين بجمالان مقدمة له - احدها بيان حاجة البشر الى رسالته العامة  
والثانية بيان استمداد الناس لها

(المسئلة ١٠١) حاجة البشر الى هداية عامة الحاجة الى بعثة النبي عليه

الصلاة والسلام في الجملة تعرف من البحث في حاجة البشر الى ارسال الرسل  
كما تقدم في الدرسين ١٨ و ١٩ (راجع المنار ٩ و ١٤٠٠ - ٤) ولا يوجد في اعداء  
الاسلام المؤمنين بالوحي والنبوة عاقل ينكر أن الرب كانوا في اشد  
الحاجة الى بعثة رسول منهم ينتاشهم من تلك الوثنية، ويخرجهم من هاتيك  
الجهالة والهمجية، وأن تأثير هداية محمد فيهم كان مثل تأثير هداية موسى  
في بني اسرائيل او اعظم واظهر ولكن الذين ينكرون حاجة الناس كافة الى  
هذه الهداية الالهية على لسان محمد عليه السلام كثيرون. وانما حال بينهم  
وبين معرفة هذا الحق النبيين التقليد الاعمى. فالتقليد أعدى اعداء الحق في  
الدين والعلم وفي كل شيء. لأن المتدليس له عينان فينظر في الدليل  
والبرهان، بل ينكر الحسّ والعيان، ويكابر الوجود والوجدان، وإنما نكتب  
ما نكتب ليزداد الذين آمنوا ايماناً وليمتبر اصحاب المقول المطلقة والافكار  
الحرّة من غير المؤمنين

بيان حاجة جميع الامم الى الاصلاح المحمدي يتوقف على معرفة  
تاريخ الامم قبل الاسلام لاسيما تاريخ اهل الكتاب الذين يدعون ان في

كتبهم ما ينفي عن هداية الاسلام واصلاحه . ولا يمكن سرد تاريخ الامم  
تفصيلا في التمهيد لمسئلة من مسائل العقائد ولكن في الاجمال مع الاحالة  
على كتب التاريخ غناء . وقد كتب استاذنا الامام نبذة في ذلك وافية بالمرام  
في « رسالة التوحيد » التي هي حجة الاسلام في هذا الزمان وما بعده  
الى من شاء الله وانا نقبسها هنا فانظر هذه البلاغة في الإيجاز ، التي تكاد  
تبلغ به حد الإعجاز ، قال حفظه الله :

« ليس من عرضنا في هذه الورقات أن نلم بتاريخ الامم عامة وتاريخ  
العرب خاصة في زمن البعثة المحمدية لئلا نسين كيف كانت حاجة سكان  
الأرض ماسة الى قارعة تهز عروش الملوك وتزلزل قواعد سلطانهم الغاشم  
وتخفف من أبصارهم المعقودة بعنان السماء ، الى من دونهم من رعاياهم  
الضعفاء ، وإلى نار تنقض من سماء الحق على أدم الأنفس البشرية لتأكل  
ما أعشوشبت به من الأباطيل القاتلة للعقول . وصيحة فصحي  
ترجع الغافلين ، وترجع بالباب الذاهلين ، وتنبه المرؤسين ، الى أنهم ليسوا  
بأبعد عن البشرية من الرؤساء الظالمين ، والهداة الضالين ، والقادة  
الضالين ، وبالجملة تؤب بهم الى رشد يفهم الانسان على الطريق التي سنها  
الله له <sup>(١)</sup> « إنا هديناه السبيل » ليلين بسلوكة كما له ، ويصل على نهجها الى  
ما أعد في الدارين له ، ولكننا نستدير من التاريخ كلمة يفهمها من نظر فيما  
اتفق عليه مؤرخو ذلك العهد نظر إيمان وإصاف

« كانت دولتنا العالم <sup>(٢)</sup> — دولة الفرس في الشرق ودولة الرومان

١٦٠ — أوردنا بالطريق فطرة الله التي فطر الناس عليها ٢٠ شروع في بيان الكلمة  
المتعارفة قال في الدرس : وفاتني وقت الكتابة ذكر دولة الصين فإنها كانت أيضاً مزقة

في الغرب - في تنازع وتجادل مستمر . دماء بين العالمين مسفوكة ، وقوى منهوكة ، وأموال هالكة ، وظلم من الإحن حالكة ، ومع ذلك فقد كان الزهو والترف والإسراف والفتنة والنفن في الملاذ بالغة حد مالا يوصف في قصور السلاطين والامراء والقواد ورؤساء الأديان من كل أمة وكان شر هذه الطبقة من الأمم لا يقف عند حد فزادوا في الضرائب وبالغوا في فرض الأتاوات حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم وأثروا على ما في أيديها من ثمرات أعمالها وانحصر سلطان القوي في اختطاف ما بيد الضعيف . وفكر العاقل ، في الاحتمال لسبب العاقل ، وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب ضروب من الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب لتفقد الأمن على الأرواح والأموال .

نمرت مشيئة الرؤساء ارادة من دونهم فماد هؤلاء ، كأشباح اللاعب يديرها من وراء حجاب ، ويظنها الناظر اليها من ذوي الالباب ، فقد بذلك الاستقلال الشخصي وظن افراد الرعايا أنهم لم يخلقوا الا لخدمة ساداتهم وتوفير لذاتهم كما هو الشأن في العجاوات مع من يقتتها . ضلت السادات في عقائدها وأهوائها وغلبيتها على الحق والمدل شهواتها ولكن بقي لها من قوة الفكر أروبا بقاياها فلم يفارقها الخدر من أن بصيص النور الألهي الذي يخالط الفطر الانسانية قد يفتق الغلف التي أحاطت بالقلوب ، ويحرق الحجب التي أسدلت على العقول ، وتهدي العامة الى السبيل ، ويشور الجم التقير على السدد القليل ، ولذلك لم يفضل الملوك والرؤساء أن ينشئوا سحبا من الأوهام ، ويهيؤوا كسفاً من الأباطيل والخرافات ،

بالحروب الأهلية والحرب مع الزكمان وسند كرها في طبعه ثانية ان شاء الله تعالى

ليقتفوا بها في عقول العامة فيملظ الحجاب ويمظم الرين ويمختق بذلك نور  
القطرة ويتم لهم ما يريدون من المغلوبين لهم . وصرح الدين بلسان  
رؤسائه انه عدو العقل وعدو كل ما يثمره النظر الا ما كان تفسير الكتاب  
مقدس . وكان لهم في المشارب الوثنية يتابع لا تنضب ، ومدد لا ينفد ،  
هذه حالة الاقوام كانت في معارفهم ، وذلك كان شأنهم في معايشهم ، عبيد  
أذلاء ؛ حيارى في جهالة عمياء ، اللهم الا بعض شوارد من بقايا الحكمة  
الماضية ، والشرايع السابقة ؛ أوت الى بعض الأذهان ومعها مقت الحاضر ،  
ونقص العلم بالنابر ، نارت الشبهات على أصول المقائد وفروعها بما انقلب  
من الوضع ، وانعكس من الطبع ، فكان يرى الدنس في مظنة الطهارة ،  
والشره حيث تنتظر القناعة ، والدعارة حيث ترجى السلامة والسلام ؛ مع  
قصور النظر عن معرفة السبب وانصرافه لأوّل وهله الى أن مصدر كل  
ذلك هو الدين . فاستولى الاضطراب على المدارك وذهب بالناس مذهب  
الفوضى في العقل والشريعة مما . وظهرت مذاهب الإباحيين والدهريين  
في شعوب متمددة وكان ذلك وبلا عليها فوق ما رزئت به من سائر الخطوب .  
« وكانت الأمة العربية قبائل متخالفة في النزعات ، خاضعة للشهوات ،  
نغز كل قبيلة في قتال أختها وسفك دماء أبطالها ، وسبي نسائها وسلب  
أموالها ، تسوقها للمطامع ، الى المدامع ، ويرين لها السيئات ، فساد الاعتقادات ،  
وقد بلغ العرب من سخافة العقل حدًا صنعوا اصنامهم من الحلوى ثم عبدوها ،  
فلما جاعوا أكلوها ، وبلغوا من تضعف الأخلاق وهنأقتلوا فيه بناتهم  
مخلصا من عار حياتهن ، أو تنصلا من نشات مبيشتن ، وبلغ الفحش  
منهم مبلغا لم يعد معه للمفاز قيمته . وبالجملة فكانت رُبط النظام الاجتماعي

قد تراخت عقدها في كل أمة ، وانفصمت عراها عند كل طائفة  
« أفلم يكن من رحمة الله بآولئك الأقوام أن يؤدبهم برجل منهم يوحي اليه  
رسالته ، ويمنحه عنايته ويمدده من القوة بما يتمكن معه من كشف تلك الغمم ،  
التي أظلت رؤس جميع الأمم ، نعم كان ذلك وله الأمر من قبل ومن بعده اه  
فعلم مما أورده الاستاذ الامام ان فساد الامم كان من فساد رؤساء  
الدين ورؤساء الدنيا وهم الملوك والأمرء وان قصارى سير التريقين كان  
محصورا في اطفاء نور القطرة الألهية وهدم ركني السمادة البشرية وهما  
استقلال الفكر واستقلال الارادة . فاذا قيل انه كان في الدنيا دينان  
سماويان أي دين اليهود ودين النصارى وكتابان الهيان وهما التوراة والانجيل  
فكان يعني عن بمثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلهام الله تعالى رؤساء  
الدينين وجملة الكتاين أن يقيا أصولهما ويسيرا على صراطهما ويدعو الناس  
الى ذلك . نقول في الجواب ان دين اليهود كان خاصا بشعب اسرائيل وهم  
المخاطبون بالتوراة دون - واهم لهم الله تعالى ان هذا كتاب يصلح لهدايتهم  
وحدتهم في الزمن الذي أنزل فيه وبمده الى أجل مسمى . وبمده ذلك أفسد  
بنو اسرائيل في الارض فسلط الله عليهم الوثنيين فسبوهم وخربوا ديارهم  
وأحرقوا كتابهم . ثم ان كتابا منهم اسمه (عزرا) كتب لهم بعد زمن  
طويل ما يحفظه من كتابهم وشريعتهم باذن الملك الوثني ومنها الاسفار  
الحجة التي يسودها التوراة وهي تحكي عن موسى بضمير الغائب وفيها ذكر  
وفاته وليس ذلك مما أوحى اليه . ولولا ان الله أخبرنا في كتابه بأن اليهود  
نسوا حظا مما ذكروا به لاجميع ما ذكروا به ولولا انه احتج عليهم بعدم  
العمل بالتوراة والحجة تقوم ببعض كلام الله كما تقوم به كله - لما صدقنا

كلمة واحدة من كتبهم ولا وثقنا بحكم واحد من أحكام شريعتهم . وحاصل القول ان الله تعالى لم يجعل التوراة منذ شرعها هداية عامة مرشدة للجميع البشر الى كمال النظرة فكيف تصاح لذلك بعد ما طرأ عليها وعلى الناس ما طرأ وأما السيد المسيح عليه السلام فإنه لم يأت بدين جديد وإنما ديانته اليهودية وشريعته التوراة ولكنه كان مصلحاً لأن اليهود جمدوا على ظواهر الشريعة حتى صاروا كالماديين فأرسله الله الى خراف اسرائيل الضالة « ليهديهم الى الروحانية ويبلغ فيها بمقدار ما بالغوا في الظواهر والماديات ليكون ذلك تمهيداً لدين الفطرة الذي يجمع بين مصالح الروح والجسد . وأما الديانة البولسية التي انتشرت في أوروبا بتعليم بولس ثم مساعدة قسطنطين ومن بعده من الملوك والراشدين الناس بها فهي لا تنطبق على ما قلناه سابقاً في وجه حاجة البشر الى ارسال الرسل لهدايتهم الى سمادة الدنيا والآخرة بتربية الروح والجسد وليس فيها قاعدة واحدة من قواعد الفطرة وإنما هي عبارة عن شيء واحد وهو الايمان بالمسيح على الوجه الذي يقولونه وأنه لا حاجة مع هذا الايمان الى العمل بالشريعة . والظاهر من نصوص كتب العهد الجديد ان المسيح خلص العالم كله من المذاب من آمن به ومن لم يؤمن وإنما يفضل المؤمن به غيره بأنه يحل فيه روح القدس . قال يعقوب في رسالته « وليس من أجل خطايانا فقط بل من أجل خطايا العالم كله » . وقد ظل أهل أوروبا على هذا الدين عدة قرون يخبطون في دياجير الاوهام والجهالات حتى دخل عليهم الاصلاح الاسلامي من بلاد الاندلس والشرق كما سنينه

(م ١٠٢) الاستعداد للعموم البعث : حاجة الناس الى الشيء تولد فيهم

الاستعداد له فاذا استدللنا بالملة على المعلول فلنا أن نستنبط استعداد الأمم لمصلح عام يرسله الله تعالى لهداية الأمم من شدة حاجة الأمم الى ذلك الاصلاح واذا استدللنا بالمعلول على الملة فالدليل أوضح لانه ههنا وجودي مشهود لانظري مستنبط وهو قبول الأمم على اختلافها في الاديان واللغات والمواقع هذا الاصلاح الروحي الاجتماعي الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي الالهي والالهام فقد انتشر الاسلام في المشرق والمغرب بسرعة لم يعرف التاريخ مثلها حتى كان ملك الاسلام بعد ثمانين سنة من ظهوره أوسع من ملك الرومان بعد ثمانمائة سنة والرومان أعظم أمم التاريخ الماضي في الحروب والفتوحات .

هذا هو الاصلاح الذي غير هيئة الارض وبدل نظام الاجتماع الانساني في السياسة والحرب والمدنية والعلوم والآداب على أيدي أمة كانت قبل الاسلام أبعد الأمم عن السياسة والمدنية والنظام والعلم وهي الأمة العربية . ألم تر أن نور الهداية القطرية ماخبا بعد الاسلام من مكان الا وأومض أو تالق في مكان آخر وان دعائم العمران ماتداعت في مملكة الا وشيدت في غيرها وان غرس العلم والفلسفة ماذبل أو تهوَّح في أرض الا ونما وترعرع في سواها - كل ذلك كان ينتقل مع الاسلام فكما ظهرت قوة الاسلام في مكان ظهرت بها ومهما هذه الاشياء حتى اذا ضعف الاسلام والمسلمون في الشرق والغرب ضعف العلم والعمران والمدنية في العالم كله ولكنه لم يذهب من العالم فيحتاج العالم الى مصلح آخري يبي له قواعد الاجتماع على أصول العلم الصحيح وبين الكون اذ لو حصل ذلك لما كان محمد خاتم النبيين . ولكن تلك القواعد انتقلت

من مسلمي الاندلس ومسلمي الشرق الى اوروبا مع تلامذة ابن رشد وفي الكتب التي أخذها الصليبيون من المسلمين .

من عجيب أمر استمداد العالم لهذا الاصلاح العام سرعة انتقال العلم من قطر الى قطر ومن خافق الى خافق أيام مدينة العرب لأول عهدا مع صهوبة المواصلة بين الخافقين فقد كان المؤلفون من الاندلس وبلاد البربر ينقلون من كتب المؤلفين الماصرين في المراقين من المشرق كما كان هؤلاء ينقلون عن أولئك في كل عصر فكانت تلك الهمة الكبار، تفنيمهم عن السكرباء والبخار، وآية أخرى من آيات هذا الاستمداد حفظ العلم والتاريخ فقد كان الكتاب يوجد قبل الاسلام في الامم ثم يذوب ويضحل كأن لم يكن شيئاً مذكوراً

أرأيت الاسرائيليين على غلوهم في دينهم كيف مرت عليهم السنون والاحقاب وليس عندهم من كتاب شريعتهم الا نسخة واحدة حتى اذا فقدت ذهبت الثقة بمجموع ديانتهم الا ما كانوا يحفظون ويمثلون . وقس بهم العرب الأميين وانظر كيف حفظوا كتابهم في الصدور والسطور .

وكيف رأوا في الصدر الاول أن يرسلوا بالمصاحف الى الاقطار لتكون أصولاً يكتب بها بصفة رسمية لأن مصحفاً يرسله خليفة رسول الله بمشاوره أصحاب رسول الله واتفاقهم له حكم النقل المتواتر المجمع عليه ولولا ذلك لكان نقل المصاحف مقصوراً على الافراد الذين كانوا يحملونها . واذا اشتبه في هذه الحال بكلمة اختلف فيها ناقل مع ناقل أو حافظ تقع الخيرة في الترجيح لعدم وجود أصل مجمع عليه أو عدد كثير من المصاحف مأخوذة عن ذلك الاصل أو عدد مثله من الحفاظ . ولكن ذلك لم يقع فلا خلاف بين المسلمين في كلمة ولا في حرف من حروف القرآن العزيز

من آية استعداد الأمم للإصلاح الإسلامي على الطريقة الأولى  
(الاستدلال بالملة على المملول) النظر في أصول هذا الإصلاح فمنها حاجة  
البشر الطبيعية الى رابطة عامة بين الأمم المختلفة في الجنس واللغة والدين  
فقد كانت هذه الروابط خاصة تجمع طائفة محصورة ليمش أفرادها مميثة  
اجتماعية ولكنها تجعلهم أعداء للطوائف التي ترتبط برابطة أخرى والاسلام  
جاء لجمع كل الأمم كما سنبينه بعد . ومنها إقامة قواعد العمران والاجتماع على  
سنن الكون التي تعرف بالاختبار . ومنها تهديد سلطة رؤساء الدين والدنيا  
وجعل مصالح الأمم شورية بين أهل الرأي منهم وأصحاب الحل والعقد  
المرضيين عندهم ومنها جعل أحكام الشريعة دائرة على درء المفاسد وحفظ  
المصالح وتحكيم المرف . وكل الأمم الراقية انما ارتقت بمثل هذه الاصول  
التي وضعها الاسلام سواء لقبته بلقب الإسلام أم لم تلق به  
ومن آية ذلك على تلك الطريقة أيضاً ما أثبتته علم الاجتماع من ارتقاء  
الانسان بالتدريج فبعد ان كان في ظلمات من بحر الوثنية العجي من فوقه  
. ورج من فوقه سبحانه لا يكاد يرى شيئاً من نور النطرة ارتقى في الوثنية من  
الاعتقاد بتأثير مظاهر الطبيعة التي لا يفهم معناها من حجاب ونبات  
وحوان وإنسان الى الاعتقاد بأن تلك المعبودات لا تؤثر بنفسها وإنما  
تقرب من يخضع لها من واجب الوجود وتشفع له عنده في قضاء الحوائج .  
بما الاستعداد اصطنع الإسلام بالتوحيد جرائم الوثنية من جزيرة العرب  
ثم انتشر التوحيد الخالص في العالم . وبدأ بالملم فلم ينجب . مصباحه في مكان  
الا وأشرق في غيره . فأكثر أهل أوربا اليوم . وحدثون لا يمتقدون  
بسلطة ولا تأثير في الكون الا لمدير الكون الذي وضع سننه ونواميسه

« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » ولقد كان النبي قبل الاسلام يمث بالتوحيد فيؤمن به النفر أو القوم فلا يمضي عليهم زمن الا ويعودون الى الوثنية ويلتسبون لها الدلائل من الدين فيدعي التوحيد بالمرّة . ولكنه لم يبع بمد ظهور الاسلام وان دبت الوثنية الى بعض المسلمين وصفت عندهم بصنفة الدين لغروب من التأويل والتحريف . وسنوضح مسألة الاستمداد بما قاله الاستاذ الامام في ارتقاء الامم بالدين وبسبب ظهور الاسلام في العرب الاميين فانظر ذلك في الدرس الآتي

### القسم العمومي

( الزواج وشبان مصر وشوايها )

أكثر الجرائد اليومية الحوض في هذه الايام في مسألة اجتماعية ذات بال وهي ميل كثير من الشبان المصريين الى التزوج بالأوربيات وإحجام كثير منهم عن التزوج بالمرّة وزعم بعض الباحثين ان السبب في الامرين هو عدم وجود بنات مصريات « متريات » يصلحن لشبان مصرّة المترين « . . . » وهما شرح بعض الكتاب سوء حال تربية البنات ووصف من جهلن وأطاب في التنفير عنهن . وكنت أحب أن يكتر الكتاب البحث في تربية البنات في معرض غير معرض تفضيل الزواج بالأوربيات والترغيب عن الزواج بالوطنيات

المسئلة كبيرة وفروعها متشعبة ولطريق البحث فيها نواشط كثيرة وكأني بهذه النواشط قد تمثلت أممي فلا أدري أي نواشط اختارني ابتداء السير لأصل منه الى الطريق الاعظم . واكتني أقول قبل كل قول : إن